موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

الندوات الاذاعية

الأسرة

ندوات اذاعية - إذاعة الشرق - الاسرة - الحلقة 1 : مفهومات الزواج الصحيحة في الإسلام.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1995-02-05

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22))

(سورة الروم)

ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

الآية في اللغة هي العلامة الدالة وهنا على وجود الله ووحدانيته وكماله فكما أن خلق السموات والأرض مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى وكما أن الشمس والقمر والليل والنهار آيات دالة على عظمة الله تعالى كذلك خلق الإنسان من ذكر وأنثى آية كبرى دالة على حكمته وعلمه ورحمته، قال تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)

فالزوجة من طبيعة الزوج الإنسانية تفكر كما يُفكر وتشعر كما يشعر وتحب كما يحب وتتمنى كما يتمنى وتؤمن كما يؤمن وترقى كما يرقى ويُسعدها ما يُسعده ويؤلمها مايؤلمه ويُغضبها ما يُغضبه ويُرضيها ما يُرضيه هذا بعض معنى قوله تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا)

فلولا أنها كانت على شاكلته ومن طبيعته لم يسعد بها ولم يسكن إليها وأية نظرة إلى المرأة تنطلق من طبيعة غير طبيعة الرجل أو أنها دونه هي نظرة جاهلية لا تَمُتُ إلى الإسلام بصلة سواء أكانت من الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام أو التي بعد الإسلام جاهلية العنصرية والطبقية والظلم.

بل إن الإسلام يقرر أن المرأة مساوية للرجل تماماً من حيث التكليف ومن حيث التشريف فهي كالرجل مكلفة بأركان الإسلام وأركان الإيمان وهي مسؤولة أمام الله عما استرعاها الله به من زوج وأولاد فقد ورد في الحديث الصحيح:

((.. فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسساءلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من

النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله. فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا))

وفي حديث آخر:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

وهذا ما يؤكده قوله تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97))

(سورة النحل)

انظر إلى كلمة من ذكر أو أنثى ثم انظر إلى قوله تعالى:

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (35))

(سورة الأحزاب)

هنا المساواة التامة من حيث التكليف ومن حيث التشريف لكن وأقول لكن إن الرجل له طبيعته الجسمية والعقلية والنفسية وإن المرأة لها طبيعتها الجسمية والعقلية والنفسية إنهما ليسا متشابهين لكنهما متكاملان وخصائص أحدهما شرط لازم غير كاف لإسعاد الأولاد وهذا ما تؤكده الآية الكريمة صراحة:

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36))

(سورة آل عمران)

وقد ألف واحد من أكبر علماء النفس الإفرنسيين كتاباً عن خصائص الذكور والإناث النفسية والعقلية والسلوكية وبيّن الفرق الواضح بينهما ومامن عنوان أصدق على مضمون هذا الكتاب من قوله تعالى:

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى)

وهناك آية كريمة أشارت إلى هذه الحقيقة تلميحاً لا تصريحاً قال تعالى:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4))

(سورة الليل)

فياترى ما علاقة الذكر والأنثى بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ؟ ففي الأول الضياء والحركة في النهار، وفي الثاني الخفاء والسكون، إنهما مختلفان لكنهما متكاملان وفي الأنثى السكينة والحياء

والتستر، وفي الذكر العمل والإقدام إنهما مختلفان لكنهما متكاملان كما أن الليل والنهار مختلفان لكنهما متكاملان وكُلٌ منهما شرطٌ لازمٌ غير كافٍ لاستمرار الحياة البشرية فما نقص من قوة إدراك المرأة وضعف اهتمامها بالقضايا العامة وهو كمال فيها وضروريٌ لِحُسنِ أداءِها لوظيفتها التي أنيطت بها وما زاد من قوة انفعالها وشدة اهتمامها بأولادها كمال فيها وضروري لحسن تربيتها لأولادها وما زاد في قوة الرجل قوة إدراكه ونقصٍ في شدة انفعاله كمال فيه وضروريٌ لأداء مهمته التي أُنيطت به كما قلت قبل قليل إنهما متكاملان كل منهما يكمّل الآخر.

جاءت امراة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه زوجها قالت يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال وجمال فلما كبرت سني ونثر بطني وتفرق أهلي وذهب مالي قال أنت علي كظهر أمي ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا، أشارت إلى دور كل واحد منهما لقد أشارت هذه المرأة أن دورها الأساسي هي تربية أولادها وإلى أن دور زوجها الأساسي في كسب الرزق.

إذا مع أن المرأة والرجل متساويين تماما في التكليف والتشريف إلا أن لكل منهما وظيفة أنيطت به وقد وهب الله عز وجل الرجل الخصائص العقلية والنفسية والجسدية والسلوكية والاجتماعية كي يقوم بواجبة وبوظيفته أكمل قيام وكذلك خص الله المرأة بقوام وبطبيعة نفسية وجسدية واجتماعية وسلوكية من أجل أن تقوم بمهمتها خير قيام أي نظام اجتماعي يلغي هذه الفوارق بين الذكور والإناث تلك الفوارق التي أرادها الخالق الحكيم لكي تنتظم الحياة ويسعد البشر.

المذيع:

الإسلام لم يَحُد من دور المرأة في خوض المجتمع والعمل والاحتكاك مع الآخرين في كسب المال والرزق وإلى ما هنالك من نشاطات اجتماعية أخرى تصب لمصلحة الأسرة ومصلحة المجتمع......

فضيلة الشيخ:

بشرط ألا تخالف المرأة منهج الله لها أن تعمل من دون أن تخالف منهج الله لا في اختلاطها ولا في كشف زينتها التي أمرها الله أن تسترها هذا معنى قوله تعالى:

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلَا تَبَرّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصّلَاةَ وَآَتِينَ الزّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً (33))

(سورة الأحزاب)

يعني إذا خرجتن لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى.

هل إذا قلنا للطيار مثلاً اجلس في غرفة القيادة لتوصل الركاب إلى محط رحالهم سالمين هل يعد ذلك تقييداً لحرية هذا الطيار ؟ أم أنه أداء لمهمته، حينما خُلِقَت المرأة على ماهي عليه من أنوثة واستحياء خلقت لتكون أماً أو زوجة أو أختاً أو بنتاً وليس في حياة الرجل امرأة غير هؤلاء.

سُئِلت فنانة افرنسية يبدو أنها صادقة مع نفسها وقليلات من هن كذلك، ما شعورك وأنت على خشبة المسرح ؟ قالت شعور الخزي والعار وهذا شعور كل أنثى تعرض مفاتنها على الجمهور إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غُرفٍ مغلقة، هذه هي نظرة الفِطرة التي لم تشوّه، وفي قصة ابنتي سيدنا شعيب مع سيدنا موسى عليهما السلام إشاراتٌ دقيقةٌ إلى خصائص المرأة والرجل قال تعالى:

(وَلَمّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمّةً مِنَ النّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ الرّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمّ تَوَلّى إِلَى الظّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمّا جَاءَهُ وَقَصّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ(25))

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26))

(سورة القصص)

فما كان لإبنتي سيدنا شعيب أن تخرجا إلا لسببٍ قاهر " وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ "، وحينما خرجتا لم تختلطا بمجتمع الرجال " قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرّعَاءُ " وأخص خصائص المرأة في هذه القصة حياؤها " فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ "وأخص خصائص الرجل في هذه القصة قوته وأمانته " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ".

كأنّ الله سبحانه وتعالى لفت نظرنا إلى أن الذي يُعجب المرأة بالرجل قوته وأمانته، وأن الذي يُعجب الرجل بالمرأة حياؤها، فمن علامات آخر الزمان أن الحياء يرفع من وجوه النساء وأن النخوة تنزع من رؤوس الرجال.

المذيع:

فضيلة الشيخ ماهي شروط الزواج الصحية ؟ كيف يمكن للمسلم أن يقول توفرت فيّ شروط الزواج وعليّ أن أقدم على هذه الخطوة المصيرية التي ستربطني برباط مقدّس مع شريكة حياتي لمدى العمر؟

فضيلة الشيخ:

واللهِ أنا أرى ولاسيما في هذا الزمان أن يُسارع المرء في الزواج لأن الشاب إذا اكتملت رجولته وتوفر له عمل يُدرُّ عليه بعض المال لابد من أن يحفظ دينه بالزواج والنبي عليه الصلاة والسلام وصف الزواج بأنه أغض لبصر وأحفظ للفرج، أما إذا لم يمكن أن يتزوج لأسباب أو لأخرى فعليه بالصبر أما

الزواج أولى والصوم فيه وِجاء كما قال عليه الصلاة والسلام لكن أنا من أنصار الزواج المبكر ولا سيما في زمن الفتنة فأخوف ماخاف النبي على أمته من بعده هي النساء، والشاب أخطر شيء يمكن أن يودي به إلى الهاوية أن تزل قدمه فيتحرك بعمل لايرضي الله عز وجل فمن تزوج ملك نصف دينه فليتق الله في نصفه الآخر، اكتمال رجولته وتوفر عمل له يُدِرُّ عليه بعض الكسب هذا مايجعله أهلاً للزواج وأنا أرى أن المجتمع كله ينبغي أن يسعى لتوفير هذا المطلب المشروع لكل شاب يستنبط هذا من قوله تعالى:

(وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(32))

(سورة النور)

هذا أمر موّجه إلى الأمة بأكملها ولا سيما لأولي الأمر عن طريق توفير البيوت وتوفير الحاجات الأساسية للزواج فحينما تُيسّر البيوت والأعمال عندئذ كأنما يسرنا سُبُل الزواج فإما أن يكون زواج مشروع نظيف يحمي المجتمع من الفساد وإما ان يكون سِفاحٌ يودي بنا إلى الهاوية.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

فحينما يوّجه الأمر الإلهي إلى مجموع الأمة هو موّجهٌ إلى مجموعها كأولياء الأمور وموّجهٌ إلى أولي الأمر بالذات ليعملوا على توفير الحاجات وتذليل العقبات كي يستطيع الشاب أن يرى الطريق إلى الزواج سالكاً كما أنه ليس هناك عقبات كثيرة، كما أنني أنصح أباء الفتيات أن ييسروا على طالبي فتياتهم سُبُل الزواج لأن الآية الكريمة التي وردت في قصة شعيب يقول هذا النبي الكريم لسيدنا موسى:

(قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27))

(سورة القصص)

وعلى كل والد فتاة أن يتمثل هذه الآية وما عليه أن يَشُقَ على خاطبِ ابنته لأنه إذا وضع أمامه العراقيل أصبح الطريق مسدوداً وعندئذ يفشوا السِفاحُ مكان النِكاح.

المذيع:

فضيلة الشيخ هذه بعض شروط الزواج لنقل تم الزواج بين الشاب والفتاة ماهي شروط استمراره ونجاحه في المستقبل لا سيما وأنه علاقة مؤبدة وليست مؤقتة ؟

فضيلة الشيخ:

أنا أعتقد أنه ما من عقد على وجه الأرض أقدس من عقد الزواج:

(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً (21))

(سورة النساء)

ولأنّ هذا العقد هو أقدس عقد لابد أن يكون الزواج على التأبيد وأي زواج ليس على التأبيد هو عند بعض العلماء أو عند جُلّ العلماء زواج غير شرعي التأبيد وتقديس هذا العقد الزوجي.

حينما يُبنى الزواج على حسن الاختيار تكتب له الديمومة فيقول عليه الصلاة والسلام:

" وقيل: الندم مقلوب الدمن، والدمن اللزوم؛ ومنه فلان مدمن الخمر. والدمن: ما اجتمع في الدار وتلبد من الأبوال والأبعار؛ سمي به للزومه. والدمنة: الحقد الملازم للصدر، والجمع دمن. وقد دمنت قلوبهم بالكسر؛ يقال: دمنت على فلان أي ضغنت. "وقضي بينهم بالقسط" أي بين الرؤساء والسفل بالعدل. "وهم لا يظلمون "

إذا بني الزواج على اختيار متعجّلٍ أو سيءٍ فإن أغلب الظن أن هذا الزواج لا يستمر.

شيء آخر إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فالنبي عليه الصلاة والسلام نصح أولياء الفتيات أن يتخيّروا لبناتهم الزوج المؤمن الكفؤ:

(وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(221))

(سورة البقرة)

ووجه الفتيان إلى أن يتخيروا الزوجة النقية الطاهرة التي رُبيت في مجتمع نظيف سليم لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُنْكَحُ النِّسَاءُ لِأَرْبَعٍ لِلدِّينِ وَالْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالْحَسَبِ فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

" من تزوج المرأة لجمالها أذله الله أي لجمالها فقط ومن تزوجها لمالها أفقره الله ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة فعليك بذات الدين تربت يداك "

والحمد لله رب العالمين

ندوات اذاعية - إذاعة الشرق - الاسرة - الحلقة 2 : العشرة الطيبة بين الزوجين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1995-02-07

بسم الله الرحمن الرحيم

واجبات الزوج في معاشرة زوجته :

1 - أن يحافظ على دينها ويُعرِّفها بربِها ويحملها على طاعة الله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ربنا سبحانه وتعالى يوجه الأزواج فيقول :

" وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا"


من واجب الزوج أن يعرف زوجته على دينها

من المعاشرة الزوجية بالمعروف أن يحافظ الزوج على دين زوجته ، وأن يرعى سلوكها ، وأن يهتم بتوجيهها إلى الخير والفلاح فلا يدعها تستمرئ الاعوجاج أو تنحرف إلى المهالك .

أي إذا تحقق للزوج من زوجته حاجاته المادية ينبغي أن يوجهها فيُعرفها بربها ، وهذا من وفائه لها ، أما إذا تركها على ما هي عليه من الجهل والانحراف وقضى حاجاته منها فقد خان الأمانة .

لذلك من أول واجبات الزوج في معاشرة زوجته أو زوجه وكلاهما صحيح أن يحافظ على دينها ، وأن يُعرِّفها بربِها ، وأن يحملها على طاعة الله عز وجل ، ليسعد في الدنيا والآخرة ، والذي يؤكد هذا الشيء قول الله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)

[سورة التحريم]

صورة رائعة لزوجين مؤمنين :

النبي عليه الصلاة والسلام أعطانا صورة رائعة لزوجين مؤمنين ، فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود والترمذي :

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

[رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

صورة رائعة لزوجين مؤمنين يتذوقان حلاوة الطاعة

إنها صورة رائعة لزوجين مؤمنين طائعين يتذوقان حلاوة الطاعة ، ولِذّة الإقبال على الله .

الحقيقة أخ زياد حينما يكون بين الزوجين انسجام ديني يسعدان سعادة ما بعدها سعادة ، أي أن يقضي كل منهما حاجته من الآخر هذا شيء يُمل وينتهي ، أما أن تكون هناك المشاركة في العقل وفي السلوك وفي القيم ، وهناك توافق وتناغم بين الزوجين فهذا الذي يؤكد هذه السعادة .

طبعاً هذه الناحية التوجيهية الروحية التي هي من أولى واجبات الزوج تجاه زوجته .

2 - أن يتزيّن الزوج لزوجته :

لكن بعض العلماء يقول : " ومن المعاشرة بالمعروف أن يتزيّن الزوج لزوجته " وقد تستغرب ذلك لأن الله عز وجل يقول :

(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

[سورة البقرة]

على الرجل أن يكون حسن الهندام في البيت

إذا كان عليها أن تبدو أمام زوجها لطيفة المظهر فعليه أن يبدو أمام زوجته في هندام حسن ، لذلك يقول سيدنا الحسن رضي الله عنه : " هيئة الرجل لزوجته مما يزيد في عفتها " والإمام علي كرم الله وجهه يقول : " إن الله عز وجل يكره من عبده التميز" وابن عباس رضي الله عنه يقول : " إني لألبس وأتجمل لزوجتي فإن الله جميل يحب الجمال " .

هناك قصص كثيرة تؤكد هذا المعنى لكن كلها اجتمعت في قوله تعالى : " وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ " .

3 - ألا يزهد الرجل في زوجته وألا يهجر مضجعها :

ومن المعاشرة بالمعروف ألا يزهد الرجل في زوجته ، وألا يهجر مضجعها تبتلاً أو بدون سببٍ شرعي:

أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري عن أنس بن مالك]

يجب أن لا يزهد الرجل في زوجته ولايهجرها

هذه القصة تؤكد أن الإسلام واقعي وازن بين حاجات الجسد وحاجات الروح ، وازن بين القيم وبين الحاجات ، وازن بين ما أنت عليه وما ينبغي أن تكون عليه ، الواقعية هي سبب رقيّ المسلم، أما حينما يسلك المسلم سلوكاً ليس في منهج الله عز وجل فيدفع الثمن باهظاً .

المذيع :

هل يمكن لنا الانتقال إلى قول الله تبارك وتعالى :

" فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا "

هنا العشرة الطيبة مأمورٌ بها المسلم حتى على كراهة ؟

العشرة الطيبة مأمورٌ بها المسلم حتى على كراهة :

فضيلة الشيخ :

لأنه إذا أنجب أولاداً يجب أن يضع نفسه تحت قدمه من أجل أولاده ، وما كل زواج يبنى على الحب ، المؤمن له هدف كبير من زواجه ، هدفه تأسيس أسرة مؤمنة طيبة ، هدفه إنجاب أولادٍ صالحين ، هدفه دفع عناصر للمجتمع طيبة جداً ، فحينما لا تكون زوجته كما يتمنى عليه أن يصبر وأن يحتسب من أجل أولاده .

مرّ معي حديث لا أدري مبلغ تخريجه لكن مفاده أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما روي عنه أنه قال :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي قلت : من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها فأبت الزواج من أجل أولادها))

[الأدب المفرد للبخاري]

الإنسان حينما يضع حظوظه من الدنيا تحت قدمه من أجل أولاده ، من أجل مستقبلهم ، فهذا عند الله عمل عظيم جداً ، فإذا كره الرجل امرأة عليه أن يصبر مراعاةً لحق الأولاد ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ أَوْ قَالَ غَيْرَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

ولعل الله عز وجل يكرم المؤمن بأولاد صالحين ، نجباء ، مصلحين اجتماعيين ، أولاد أعلام في المجتمع ، والله سبحانه وتعالى ما كان ليعذب قلباً بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله .

المذيع :

وهل هناك أمر إلهي للنساء أن يصبرن على كراهية أزواجهن ؟

على النساء أن يصبرن على كراهية أزواجهن :


على النساء أن يصبرن على كراهية أزواجهن

فضيلة الشيخ :

نعم هناك أوامر كثيرة لكن في القرآن الكريم قاعدة أن الأمر الموجه إلى الذكور ينسحب إلى النساء من باب التغليب : فإذا قال الله عز وجل :

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

فهو يشمل النساء قولاً واحداً .

جاءت امرأة إلى سيدنا عمر رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين إن زوجي صوام قوام - أي يصوم النهار ويقوم الليل - فقال عمر : بارك الله لك في زوجك - وكأنه توهم أنها تمدح عنده هذا الصحابي الجليل - عند هذا العملاق في الإسلام صحابي جليل اسمه كعب الأسدي قال : يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها ، إنها لا تمدحه ، فقال له عمر هكذا فهمت من كلامها إذاً فاقض بينهما ، فقال كعب : عليّ بزوجها ، فقال له : إن الله قد أحلّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام تعبد الله فيهن ، ولها الليلة الرابعة فقال عمر: والله لا أدري في أي أمر أعجب أمن فهمك أمرها أم من حكمك بينهما ؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

4 - أن يكون غيوراً على زوجته :

من المعاشرة بالمعروف أن يكون الزوج غيوراً على زوجته ليحميها من الدنس فيوجهها إلى ما يحفظ عليها شرفها وشرفه، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم :

((إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ ، فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ))

[البيهقي في شعب الإيمان عن جابر بن عتيك]

فيجب أن يغار الزوج وإلا فليس زوجاً .


غيرة الزوج على زوجته لحمايتها من الدنس

المذيع :

أن تكون الغيرة بسبب ؟

فضيلة الشيخ :

بسبب : لها سبب مبرر ، وأما الغيرة التي يكرهها الله عز وجل فالغيرة من غير ريبة ، لا يوجد سبب ، لا يوجد عذر ، هذه غيرة مرضية ، والغيرة تصيب الرجال والنساء معاً ، هناك حد معقول منها وهناك حد مرضي غير معقول .

5 - أن يتحمل الأذى من زوجته :

لكن ألطف شيء قرأته عن هذه الآية ليست المعاشرة بالمعروف أن يمتنع الزوج عن إيقاع الأذى بزوجته بل أن يحتمل الأذى منها ، وقد قيل لبعض الصالحين : طلّق امرأتك فإنها امرأة سيئة ، قال : والله لا أطلقها فأغش بها المسلمين .

من المعاشرة بالمعروف احتمال أذى الزوجة

المذيع :

إنه يتحمل الأذى منها .

فضيلة الشيخ :

لِئَلا يغش بها أحد غيره .

قصة شريح مع زوجته :

القاضي شُريح هذا القاضي التابعي الجليل سأله مرة الفضيل : يا شُريح كيف حالك في بيتك ؟ قال : والله منذ عشرين عاماً لم أجد من زوجتي ما يعكر صفائي ، قال : وكيف ذلك يا شُريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلّمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلّم بسلامي ، وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأحباب دنوت من زوجتي فقالت : على رِسلِك يا أبا أمية ثم قامت فخطبت .

قالت : أما بعد فيا أبا أمية إنني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره ، فقل ما تحبه حتى آتيه وما تكره حتى أجتنبه ، ويا أبا أمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك ، وكان لي من رجال قومي من هو كفء لي ، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسولي ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتق الله فيّ وامتثل قوله تعالى : "إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان " ثم قعدت ، قال شريح فألجأتني إلى أن أخطب في هذا الوقت الحرج فقال : أما بعد فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً وإن تدعيه يكن حُجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا ، وما وجدت من حسنة فانشريها وما وجدت من سيئة فاستريها .

النبي عليه الصلاة والسلام يقول : "إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها " ، قالت كيف نزور أهلي وأهلك ؟ قال شُريح : نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين لئلا يملونا ، وفي الحديث الشريف : " زر غِبّاً تزدد حباً " قالت : فمن من الجيران تحب أن أسمح لهن بدخول بيتك ومن تكره ؟ قال : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم غير ذلك ، قال : ومضى عليّ عام عدت فيه إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا فرحبت بها أجمل ترحيب ، وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال ، قالت : يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قال : والله هي خير زوجة ، قالت : يا أبا أمية ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدللة فوق الحدود فأدّب ما شئت أن تؤدّب ، وهذّب ما شئت أن تُهذّب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة ، ومضى عليّ عشرون عاما لم أجد ما يعكر صفائي إلا ليلة واحدة كنت فيها أنا الظالم .

وصية في الأدب من أبلغ الوصايا :

أخ زياد هناك وصية في الأدب تُعدُّ من أبلغ الوصايا ، امرأة حكيمة أوصت ابنتها يوم زفافها قالت : أما بعد فيا بنيتي إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن المرأة استغنت عن الزوج لِغِنَى أبويها ولِشِدّةِ حاجتهما إليها لكُنتِ أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أي بنيتي إنك فارقت الجو الذي فيه درجت


وصية هي أجمل هدية زواج

إلى وكرٍ لا تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفِيه ، فأصبح بملكه عليك مليكاً ورقيباً ، يا بنيتي كوني له أمَةً يكن لك عبداً ، أي بنيتي خذي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وأجراً :

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهّد لموقع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحُسن الموجود ، والماء أطيب الطيب المفقود - هذه إشارة إلى أن لكلِّ إنسان رائحة عطرةٌ في جلدهِ فيكفي أن يتنظف أي النظافة وحدها عطر الحقيقة - والكحل أحسن الحُسن الموجود ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهّد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حُسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حُسن التدبير، ولا تُفشي له سِرّاً ، ولا تعصي له أمراً ، فإنكِ إن أفشيت سِرَّهُ لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوغرتِ صدره، ثم يا بنيتي اتق الفرح إن كان تَرِحاً ، واتق الترح إن كان فَرِحاً، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير، واعلمي يا بنيتي أنك لن تصلي إلى ما تحببن حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يختار لك .

هذه وصية من امرأة حكيمة أوصت ابنتها يوم زفافها ، الحقيقة لو طبقت النساء هذه الوصية لأغلقت المحاكم الشرعية أبوابها ، لأنه إذا عرفت المرأة حق زوجها وعرف حقها عاشا في وئام وسعادة ما بعدها سعادة .

والحمد لله رب العالمين

ندوات اذاعية - إذاعة الشرق - الاسرة - الحلقة 3 : تعدد الزوجات في الإسلام.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1995-02-09

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى:

(وَإِنْ خِفْتُمْ ألا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ ألا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)

هذه الآية إذا كان فعل الأمر فيها فعل أمر إلا أنه أمر إباحة وليس أمر إلزام فهناك سؤال يقفز إلى الذهن مباشرة هل الأصل في التعدد الوجوب أم الإباحة ؟ بمعنى هل الإسلام يوجب أن يتزوج الرجل بأكثر من زوجة واحدة أم أنه يبيح له ذلك فقط ؟.

الحقيقة أخ زياد أن الأصل في تشريع التعدد هو الإباحة وليس الوجوب إن الإسلام لا يفرض التعدد لكنه يسمح به والمقصود من تعدد الزوجات ألا تبقى إمرأة في المجتمع المسلم بلا زوج حتى لا تحدث انحرافات خطيرة وينتشر الحرام ويسقط المجتمع، وهذه الزوجة الثانية ما كان لها أن تقبل أن تكون زوجة ثانية إلا لأنها لم تجد الفرصة أن تكون الزوجة الأولى إنها اختارت أحسن الفرص بالنسبة إليها لقد رأت من الأفضل أن تكون زوجة ثانية من أن تبقى بلا زوج إطلاقا وبالنسبة للزوجة الأولى لقد رأت أنه من الأفضل لها أن تبقى مع زوجها عن أن يطلقها فهل من الخير أن تبقى في بيتها مصونة مكرّمة أم أن تفقد زوجها وتعيش بلا زوج، إنّ التعدد في كثير من الأحيان يكون حافظاً للزوجة الأولى وحافظا للزوجة الثانية.

المذيع:

فضيلة الشيخ هل أباح الإسلام التعدد بالمطلق أم قيّده بقيود وشروط محددة ؟

فضيلة الشيخ:

الحقيقة لا يمكن أن يكون التعدد في الإسلام مطلقاً بل إن القرآن الكريم قيّده بشروط كثيرة يقع في مقدمتها شرط العدل ولو أن الذين تزوجوا زوجة ثانية أو ثالثة طبّقوا الشرط الإسلامي في العدل لَمَا كانت هناك مشكلة إطلاقا، إننا إذا أخذنا إحصائيات الحياة ثم افترضنا أن عدد الإناث والذكور متساويان فإن أحداث الحياة تأخذ من الرجال أكثر مما تأخذ من النساء فالمعارك والحروب يتحملها الرجال وحياة الرجل وسعية للرزق يجعله يتعرض لمخاطر أكثر من المرأة.

إذا أين تذهب الإناث الباقيات ماذا يفعلن إلا إذا أردن أن يكون المجتمعُ مجتمعَ انحلال بيت القصيد أن الله جل جلاله لم يُلزِمنَا بالتعدد لكنه أباحه لنا ولنا أن نأخذ بالمُباح أو لا نأخذ به ولا إثم علينا إن لم نأخذ

والذي يثير ضجة حول التعدد لم يأخذ مع إباحة التعدد حتمية العدالة، إن الذي يسمع هذه الضجة يعتقد أن مسألة التعدد... تعدد الزوجات في الإسلام مسألة وبائية هكذا يتوهم ويتوهم أيضا أن تسعين بالمائة من الرجال المسلمين متزوجون بأكثر من زوجة واحدة ولكن الإحصائيات العلمية تقول إن المتزوجون من اثنتين لا تزيد نسبتهم على ثلاثة بالمئة فقط هؤلاء الثلاثة من كل مئة ألا يمكن أن تكون لهم مشكلات أدت إلى الزوجة الثانية، مثلاً رجل زوجته مريضة هل من الأفضل أن يتزوج إمرأة ثانية أم أن يزني مع إمرأة أخرى؟ والزوجة المريضة هل من الأفضل أن يتركها زوجها تماماً وقد لا يكون لها أحد يرعاها أم أن تبقى زوجة يرعاها زوجها ويقوم على شؤونها ؟

والإحصائيات العلمية تقول إن الذين يتزوجون ثلاث زوجات هم رجل واحد بين كل ألف رجل فهل تعد هذه مشكلة مع هذا العدد البالغ من القِلة، بل إن الذي يتزوجون أربع زوجات هم رجل واحد بين كل خمسة آلاف هل تعد هذه مشكلة ؟ مع هذا العدد البالغ من القلة إنها ليست مشكلة تواجه المجتمعات الإسلامية.

المذيع:

هنا نقطة مهمة فضيلة الشيخ.. هل من خطوات أَمَرَ بها الإسلام راغب الزواج من إمرأة ثانية أن يتخذها قبل أن يُقدم على هذه الخطوة ؟.

فضيلة الشيخ:

طبعاً لابد من خطوات ألزم الشرع بها الزوج الذي يريد الزواج من إمرأة ثانية، الحقيقة هذه الخطوات أولها العدل وسوف أوضح لك معنى العدل بالتفصيل.

التعدد لا يمكن أن يكون تشريعاً ناجحاً إلا إذا ألزم المُشرّع الحكيم الزوج الذي يريد التعدد بالعدل التام وأنا أُلِح على العدل التام بين زوجتيه أو زوجاته قال تعالى:

(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)

إذاً شرط التعدد العدل التام أما قوله تعالى:

(وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (129))

(سورة النساء)

الآية هذه نفت العدل المطلق الذي يشمل ميل القلب ولكنها طالبت بالعدل الممكن الذي يشمل مستوى المسكن ومستوى الإنفاق وحجم الوقت الذي يمضيه الزوج عند زوجته، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يَقِسُم ويَعدِلُ بين نسائه ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولاأملك.

هذا هو العدل الممكن في المسكن وفي النفقة وفي المبيت هذا العدل الممكن للزوج، أما العدل غير الممكن فهو أن يميل لواحدة دون الأخرى هناك نساء متفاوتات في الذكاء وفي الكياسة وفي اللباقة فالقلب قد يميل إلى إمرأة دون أخرى فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك.

الأخ زياد من الحالات التي يكون فيها التعدد ضرورةً تضمن للمجتمع سلامته ونظافته وتحفظ للمرأة وللرجل على حدٍ سواء سلوكه من أن ينحدر إلى الهاوية والانحلال من هذه الحالات أن تكون المرأة عقيماً فلا يرضى الزوج أن يفارقها كما أنه لا يرضى أن يكون محروماً من نعمة الأبوة هذه مشكلة كبيرة فيأتي التعدد ليَحُلّ هذه المشكلة فيسمح للزوج أن يتزوج ممن تنجب له ويرعى حق امرأته العقيم.

حالة ثانية: إذا كانت المرأة مريضة مرضاً مستعصياً جازَ للزوج أن يتزوج بأخرى فتقوم الأخرى برعايته وتُعِفُه عن الوقوع في الحرام وتبقى الزوجة المريضة مشمولة برعاية زوجها وعنايته هذه حالة ثانية.

هناك حالة شائعة أكثر من هاتين الحالتين في أعقاب الحروب يزيد عدد النساء عن عدد الرجال زيادة فاحشة فيأتي التعدد فيحل هذه المشكلة ولا تبقى أعداد كبيرة من النساء لا أزواج لهن فيكنّ عرضةً للسقوط في هاوية الزنى وقد يكون بين الرجال هذه حالة أيضا موجودة وقد يكون بين الرجال من حاجته إلى النساء أشدُ من حاجة غيره من الرجال فلا تكفيه ولا تحصنه إمرأة واحدة فإذا كان إضافة إلى هذه الرغبة الشديدة قادراً على إسكان الثانية والإنفاق عليها والعدل بين الاثنتين في الوقت عندئذ يحل التعدد لهذا الرجل وتحل مشكلته بالتعدد فلا يسقط في الزنى الذي من شأنه أن يُفسدَ المجتمع الإسلامي والأفراد معاً وهكذا نجد أن التعدد أمر لم يُلزمنا الله سبحانه وتعالى به ولكنه أباحه لنا وفرق كبير بين الإباحة والإلزام.

وأن التعدد في حقيقته ضرورة اجتماعية حتى لا ينتشر الانحلال وأنه إن تم يشترط فيه العدل في السُكنى والنفقة والوقت وأن كل النُظُم التي قاومت حرية الرجل في أن يتزوج إمرأة أخرى سواءٌ طلّقَ امرأته أو أبقاها قد أخفقت وأن الله جل وعلا حينما أباح التعدد إنما أعطانا النظام الذي لا ضرر منه وأنه على الرغم من هذه الإباحة فإن عدد الذين يتزوجون بزوجة ثانية لا يزيدون عن ثلاثة بالمئة وإن الذين يتزوجون من أربعة لا يزيدون عن رجل واحد في كل خمسة آلاف رجل.

إن هذه المشكلة من حيث الواقع تكاد تكون معدومة ولكن الذين في قلوبهم مرض يضخمونها للنيل من الإسلام وإظهاره على غير حقيقته

وإن الجهة الوحيدة التي ينبغي ألا تُناقش في تعليماتها وتوجيهاتها هي الجهة الصانعة، ونظام التعدد هو تعليمات خالق الإنسان وهو أخبر بها من أي جهة أخرى قال تعالى:

(إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14))

(سورة فاطر)

المذيع:

فضيلة الشيخ يبقى قوله تبارك وتعالى

(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)

أباح تعدد الزوجات ولكن عاد وقال عز وجل فواحدة فهل هذه الأسرة المثالية بنظر الإسلام ؟

فضيلة الشيخ:

أعتقد أن الأصل أن يكون للرجل زوجة واحدة وهذا الشائع والموجود وما التعدد إلا علاجٌ لحالات خاصّة، الأصل أن يكون للزوج زوجة واحدة حتى في عهد الصحابة عددٌ قليلٌ من الصحابة من تزوج امرأتين أو أكثر لكن الأصلَ في الزواج أن تكون هناك زوجة واحدة يمحضها وده وتمحضه ودها إلا أن التعدد علاج ناجح حقيقي لمشكلة طارئة نشأت فنحن لا نسمح لا بالزنى ولا بالعشيقات ولا بالانحراف.. الإسلام نظيف وتعليماته واضحة فلو أن هناك حاجةٌ ماسةٌ تدعو إلى الزواج بامرأة ثانية كما ذكرت قبل قليل.. إمرأة مريضة مرضاً مستعصياً ليس لها من يرعاها أن يلقيها في قارعة الطريق لنأخذ إمرأة تنجب الأولاد أو إمرأة صحيحة لا يعقل هذا، إمرأة عقيم أيعقل أن نلقيها في قارعة الطريق أم نضيف إليها إمرأة تنجب، في حالات الحروب كما قلت في حالات الفروق الفردية، الرغبة الجنسية تتفاوت من رجل وآخر فهناك رجال لا تكفيه إمرأة واحدة أنسمح لهم بالزنى ؟

إذاً التعدد إنما شُرِعَ من أجل حالات خاصة يعاني منها المجتمع والفرد فلِئَلا نسمح بالانحراف أو الانحلال أو الزنى يأتي التعدد حلاً لمشكلةٍ اجتماعية واقعيةٍ وكلُ مجتمع أصرّ على زوجة واحدة ما الذي يحصل في هذه المجتمعات ؟ يحصل الانحراف والزنى...

المذيع:

أصر تقصد به قفل الباب أمام زوجة مشروعة ؟

فضيلة الشيخ:

نعم إذاً صار هناك عشرات النساء في حياة الرجل بالطريق غير المشروع فالإسلام واقعي.

المذيع:

هناك من ضعفاء النفوس من يقارن نفسه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبتعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام.

فضيلة الشيخ:

النبي عليه الصلاة والسلام فوق هذا الوهم إطلاقا لأنّ النبي عليه الصلاة والسلام بقي مع السيدة خديجة التي تكبره خمسة عشرة عاماً بقي معها خمسة وعشرين عاماً أمضى معها ريعان شبابه وزهوة فتوته، ولو أنه كما يتوهّمُ أعداء الإسلام رجلٌ يُحبُ كثرةَ الزواج لمَا بقي في هذه الأعوام الطويلة مع امرأة بسنّ أمهِ لكنّ النبي عليه الصلاة والسلام لو تتبعت زوجاته الطاهرات لوجدت كُلّ زواجٍ من زيجات النبي عليه الصلاة والسلام ينصبُ إلى مصلحةٍ، وإلى رحمةٍ، وإلى موقفٍ إنساني.

الإنسان لا يملك إلا أن يذوب تعظيماً لهذا الموقف الرائع، وحينما شرّعَ المُشرّعُ أن يكون للرجل أربعة نساء رعاية لنساء النبي اللواتي هنّ أمهات المؤمنين وقد منعَ المُشرّعُ الحكيم أمّ المؤمنين من التزوّج بعدَ رسول الله من أي رجل لِئَلا تهبطَ هذه المرتبةُ إلى مرتبةٍ دون هذه المرتبة، سمحَ للنبي وهذا من خصوصياتهِ أن تبقى له هذه النِسوة دون أن يزيد عليها ودون أن يستبدلَ بها، فما يتوهمه المتوهمون من أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحب كثرة الزوجات.... هذا وهمٌ في عقول أعداء الإسلام.

أمّا النبي عليه الصلاة والسلام من خلال سيرته الشريفة المطهرة نجدُ أنه بقي مع امرأة تزيد عن عمره بخمسة عشرة عاماً... ربع قرنٍ وكان لا يفتأ يثني عليها إلى آخر حياته حتى أنّ بعض النساء غِرنّ من هذه المرأة التي توفاها الله وبقي النبي يذكرها طوالَ حياته.

هذا الذي يجب أن يكون واضحاً في أذهان الإخوة المستمعين.

والحمد لله رب العالمين

ندوات اذاعية - إذاعة الشرق - الاسرة - الحلقة 4 : برّ الوالدين.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1995-02-11

بسم الله الرحمن الرحيم

كمقدمة توضّح فِكرة التكليف، ليسَ في الأديان السماوية كُلِها أمرٌ واحدٌ بتناول الطعام وتوعّدٌ لمن لا يأكل لأنّ هذا تحصيلُ حاصل، فقد رُكِبَ في طبع الإنسان وفي أصلِ تصميمه دافعٌ إلى الطعام وحاجةٌ إليه، يتمثّل هذا بالشعور بالجوع ذلك الشعور الذي لا يُقاوم، كذلك ليس في الدين الإسلامي أمرٌ برعاية الأبناء لأنّ هذا مُركّبٌ في طبع الآباء والأمهات فالأمر به تحصيلُ حاصل، لكنّ برّ الأبناء للآباء تكليفٌ لأنه ليس مُركّباً في الطبع، ولأنه تكليفٌ فإنّ صاحبه يُثاب عليه في الدنيا توفيقاً ونجاحاً وفي الآخرة سعادةً وخلوداً، ويُفهم من كلمة تكليف أنهُ ذو كُلفة:

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41))

(سورة النازعات)

الإنسان لا يرقى إلاّ إذا خالَفَ هواه، ربما كان طبعه يدعوه إلى النوم لكنّ التكليف يأمرهُ أن يُصلي الفجر، ربما كان طبعه يدعوه إلى الحديث عن عورات الناس لكنّ التكليف يأمره أن يحفظ لسانه من أن يخوض في عورات الناس.

فالتكليف كما يتضحُ مخالِفٌ للطبع، إذاً به نرقى إلى الله عزّ وجل.

المذيع:

وهل برُّ الوالدين أمرٌ مخالفٌ للطبع ؟

فضيلة الشيخ:

طبعاً.. الشاب حينما يتزوج فمصلحته مع زوجته وأصدقاؤه على شاكلته وفي عقليته، أمّا قد يكون أباه من الجيل القديم مثلاً يشعر أنهُ عِبءٌ عليه، لذلك جاء الأمر الإلهي برعاية الآباء والأمهات.

المذيع:

وبصورة بليغة في البيان والتعبير " وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا".

فضيلة الشيخ:

طبعاً... فهذا التكليف من الأهمية بحيث اقترن بعبادة الله عزّ وجل.. يعني شيئ معروف أنّ العطف يقتضي التوافق والمشاركة لا يُعقل أن يقول أحدُنا اشتريت بيتاً وملعقة لابُدّ من التوافق فحينما يأتي متعاطفان لابد من إنسجامٍ وتوافقٍ بينهما، فالله سبحانه وتعالى رفعَ الأمرَ ببرّ الوالدين إلى مستوى الأمر بعبادته، قال تعالى:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

ومن هذا القبيل:

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنَاً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(14))

(سورة لقمان)

بل إنّ الله ينتظر من عبده أن يذكره كما يذكر أباه:

(فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ(200))

(سورة البقرة)

معنى ذلك أنّ للأب مكانة كبيرةً كبيرةً عِندَ المُسلم لأنهُ سببُ الوجود:

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1))

(سورة الإنسان)

يقول علماء اللغة: " إنّ كلمة قضى هُنا في هذه الآية ليست قضاء حُكمٍ بل هي قضاء أمر، يعني أمرَ ربكم ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً ".

((قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عبد الله قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

(رواه البخاري)

فبرُّ الوالدين من خلال هذا الحديث الشريف هو أعظم الأعمال بعد الصلاة التي هي عماد الدين وعِصام اليقين.

نقطة ثانية في الآية دقيقة جداً قال تعالى:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

فِعلُ أحسَنَ في اللغة يتعدّى بـ " إلى "، لو فتحنا معاجم اللغة لوجدنا فعل أحسَنَ يتعدّى بـ " إلى"، تقول أحسنت إليه، إلاّ أنّ هذا الفِعل في هذهِ الآية يتعدّى بالباء " وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " يعني أحسِنوا بالوالدين أي اتقوا ربكم بإحسانِكم للوالدين.

العلماء قالوا: " هذهِ الباء تُفيد الإلصاق " وقد أستُنبطَ من هذهِ الباء التي تعدّى بها فعل أحسَنَ أنّ الإحسان إلى الوالدين لا يُقبل إلاّ شخصيّاً وبالذّات إكراماً لهما، أمّا اتصال هاتفي.. رسالة... عن طريق السائق... أرسل لأبي هذه الحاجة.... هذا ليسَ إحساناً كما أراده الله عزّ وجل، ينبغي أن يكون الإحسان

إلى الوالدين إحساناً شخصيّاً مباشِراً لا عن طريق الوساطة، لأنّ الباء كما قُلت قبل قليل تُفيد الإلصاق، تقول مثلاً أمسكتُ بيده يعني ألصقتُ يدي بيده فهُنا جاءت الباء لِتُشير إلى هذا المعنى الدقيق.

الأب أحياناً لا يعنيه الطعام ولا الشراب، يعنيه وجود ابنه إلى جانبه وهُنا جاءت الآية الكريمة، ثُمّ يقول الله عزّ وجل:

(إمّا يَبْلُغَنّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أحَدُهُمَا أوْ كِلاهُمَا فلا تَقُلْ لَهُمَا أفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قوْلا كَرِيمًا)

الأخ زياد لو نظرنا إلى كلمة " عِنْدَكَ "، " إمّا يَبْلُغَنّ عِنْدَكَ الكِبَرَ " فبعد أن كان الابن في صِغَره وضعفهِ عِندَ أبيه مكاناً ونفقةً ورعاية، الآن صارَ الأبُ عِندَ ابنه مكاناً ونفقةً ورعاية، وقد يُصبح الأب عِبئاً على الابن فيستثقل وجوده ويُدهنُ تبرُّمَهُ ويضجرُ منه، قال تعالى

(فلا تَقُلْ لَهُمَا أفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا)

ما كلمة أف ؟ هي اسم فعل مضارع تُفيد معنى التضجّر، والحقيقة ليست كلمة إنها زفيرٌ مسموع، يعني لو أنّ في اللغة كلمةً أقلّ من أف لقالها الله عزّ وجل، لكنّ العلماء حملوا على أف كُلّ موقفٍ، وكُلّ نظرةٍ، وكُلّ حركةٍ، وكُلّ تصرُّفٍ يُساويها في الإساءة، فلو أغلِقَ الباب بِعُنفٍ هذهِ كأف، من شدّ نظره إلى أبيه.. شدّ نظرهُ إليه، هذهِ كأف، من أشارَ إشارةً بيده تبرّماً هذهِ كأف......

إذاً: كُلّ تصرّفٍ أو كُلّ حركةٍ أو سكنةٍ أو نظرةٍ أو موقفٍ حتى لو كان إشارةً تُساوي كلمة أف هي محرّمة بنصّ هذهِ الآية الكريمة " فَلا تَقُلْ لَهُمَا أفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا " أمّا " وَلا تَنْهَرْهُمَا " من النهر أي الزجر والغِلظة، أمّا قوله تعالى " وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا " قال بعض المفسرين: " القول الكريم الذي ينبغي أن يقوله الابن لأبيه كقول العبد المُذنب لسيّده الفظِ الغريب " كيفَ أنّ العبدَ المذنب أمام سيده القوي يتذلل له وينتقي أجملَ الكلمات، القول الكريم الذي أُمِرنا أن نقوله لوالدينا كهذا القول الذي يقطِر رقةً ولُطفاً وأدباً وما شاكَلَ ذلك، أمّا معنى قوله تعالى:

(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (24))

(سورة الإسراء)

روينا في كتاب ابن السني، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه:

((أن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام: مَنْ هَذَا؟ قال: أبي، قال: فلا تَمْشِ أمامَهُ، ولا تَسْتَسِبّ لَهُ، وَلا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلا تَدْعُهُ باسْمِهِ))

قلت: معنى لا تَسْتَسِبّ له: أي لا تفعل فعلاً يتعرّض فيه لأن يسبّك أبوك زجراً لك وتأديباً على فعلك القبيح.

لكن قد يقول قائل لو أنّ شاباً مسلماً أو مؤمناً ولم يرى والده على ما ينبغي، الجواب دقيق جداً: لا يختصُ برُ الوالدين بأن يكونا مسلمين.

((قالَ حَدّثنَا أبُو الأسْوَدِ أنّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ يُحَدّثُ عَنْ أسْمَاءَ بِنْتِ أبِي بَكْرٍ قالتْ قدِمَتْ أمّي وَهِيَ مُشْرِكَة فِي عَهْدِ قرَيْشٍ إذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَليْهِ وَسَلّمَ فاسْتفْتيْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَليْهِ وَسَلّمَ فقلتُ أمّي قدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَة أفأصِلُهَا فقالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَليْهِ وَسَلّمَ نعَمْ صِلِي أمّكِ))

(في صحيح البخاري)

ويروي بعضُ المفسرين أنّ هذه مناسبة نزول تِلكَ الآية:

(لا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الّذِينَ لمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أنْ تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إليْهِمْ إنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(8))

(سورة الممتحنة)

يعني أدِ الذي عليك واطلب من الله الذي لك.

في شيئ دقيق جداً سُئِلَ عليه الصلاة والسلام: من أعظم الناس حقاً على الرجلِ ؟.. على الإطلاق.. قال: أمه، فلمّا سُئِل من أعظم الناس حقاً على المرأة ؟ قال: زوجُها.. يعني في حياة الرجل أعظم إنسان هي أمُهُ، وفي حياة المرأة أعظم إنسان هو زوجُها.

((قالَ سَمِعْتُ عبد الله بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَليْهِ وَسَلّمَ فاسْتَأذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فقالَ أحَيٌّ وَالِدَاكَ قالَ نعَمْ قالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ))

(رواه مسلم)

يعني.. بمثابة الجهاد في سبيل الله " فيهما فجاهد "، يعني كأنّ النبي عليه الصلاة والسلام رَفَعَ برّ الوالدين إلى مرتبة الجهاد.

المذيع:

هل يُعتبر من عقوق الوالدين وعقوق الأم إذا تَرَكَ المُسلم حقّ زوجتهِ ليُلبي حقّ أمِهِ عليه ؟

فضيلة الشيخ:

لا يجوز إلا أن يُعطي كُلّ ذي حقٍ حقه، لا تُبنى طاعةٌ على معصية، لا تُحلُ مُشكِلة بمُشكِلة، المؤمن يُعطي كُلّ ذي حقٍ حقه، للمرأةِ حقُها وللأُم حقُها، والبطولة أن يُعطي كلّ ذي حقٍ حقهُ لا أن يُعطي حقّ أمهِ على حسابِ زوجتهِ، ولا حقّ زوجتهِ على حِسابِ أمهِ.

هُناكَ قِصةٌ طريفة: تخاصمَ رجلٌ مع امرأته على ولدٍ لَهُما أيُهُما أحقُ بحضانته، فقالت المرأة للقاضي: أنا أحقُ بِهِ لأنني حملته تِسعة أشهر ثمّ وضعتهُ ثم أرضعتهُ إلى أن ترعرع بين أحضاني كما ترى، فقال الرجلُ: أيها القاضي حملته قبلَ أن تحمِلهُ ووضعتهُ قبلَ أن تضعَهُ فإن كان لها بعضَ الحق فيه فليّ الحقُ كلهُ أو جُلّهُ، فقالَ القاضي: أجيبي أيتها المرأة، قالت المرأة: لئِن حَمَلَهُ خِفّاَ فقد حملتُهُ ثِقلاً، ولئِن وضعهُ شهوةً فقد وضعتُهُ كُرهاً، فقال القاضي ادفع إلى المرأة غلامها ودعني من سجعِك.

المذيع:

فلها الحقُ في حضانته.. طبعاً..

فضيلة الشيخ:

رجل من الأنصار جاء للنبي صلى الله عليه وسلم... أنتم أشرتم في مقدمة هذا الحديث إلى نوعٍ من البر بعد وفاة الأمِ والأب وهي صلِة الأرحام...

((عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ بَدْرِيًّا وَكَانَ مَوْلَاهُمْ قَالَ قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا بِهِ قَالَ نَعَمْ خِصَالٌ أَرْبَعَةٌ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا))

هذا الحديث يحتاج إلى بعض الشرح:

المُراد من الصلاة عليهما الدعاء لهما بالرحمة، وقد أمرَ الله بهذا فقال:

(وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)

وكان عليه الصلاة والسلام في آخر كُلِّ صلاة يقول ربي اغفر لي ولوالدي ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً، وفي صحيح مسلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

(رواه مسلم)

والولد الصالح هُنا أي المؤمن الذي عَرَفَ الله وإستقامَ على أمرهِ ودعا لوالديه، فدعاء الولد لأبيه بعدَ موتهِ إستمرارٌ لعملهِ الصالح بشرطِ أن يُربيِّ الأبُ إبنه تربيةً إيمانية تُرضي الله عزّ وجل.

شيئٌ آخر... قال بعض التابعين: من دعا لوالديه في اليومِ خمسَ مرات فقد أدّى حقهُما في الدعاء. إذاً: من بَرّ الوالدين بعدَ موتِهما الدعاءُ لهُما عَقِبَ كُلِّ صلاة، وقيلَ الصلاة عليهما صلاة الجنازة.. هذا بعض الأقوال.. وقد وردَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ كُلُّ أُوقِيَّةٍ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ))

يعني.. الولد الصالح إستمرار لعمل الإنسان.

" وأعظم كسبِ الرجلِ ولدُهُ ".. يعني طريقٌ إلى الجنة، طريقٌ إلى الرّقيّ المستمر، شيئٌ آخر في الحديث " وإنفادٌ عهدِهِما " إنفادُ العهدِ المُرادُ منهُ إنجازُهُ والوفاءُ بِهِ مادامَ من الأمورِ التي تُرضي الله، أمّا إذا أوصيّا ببعضِ المخالفاتِ والبِدَع فإنّ وصيتهُما لا تنفُذ لأنهُ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، بل إنّ الإبنَ الذي لا يُنفِذُ وصية والِدِهِ المخالِفة للشرع لهُ عِندَ اللهِ أجر ويكون قد أنقذَ أباهُ من عذابٍ شديد.

وأمّا عن صِلة الرَحِم: فإنّ الرَحِمَ تُنادي وتقول: اللهم صِلّ من وصلني وإقطع من قطعني فيقول الله عزّ وجل: أنا الرحمن الرحيم شققت الرَحِمَ من إسمي فمن وَصَلَها وصلتُه ومن قَطَعَها قطعتُه، وقد وَرَدَ في الأثر أنهُ إذا ماتت الأم قالَ الله عزّ وجل عبدي ماتت التي كُنا نُكرمُكَ لأجلِها فإعمل صالِحاً نُكرمُكَ لأجلِك، أي أنّ جزءاً من إكرامِ اللهِ للعبدِ من أجلِ أمهِ فإذا ماتت تولّى الله محاسبتهُ حِساباً دقيقاً.

أُريد أن أذكرَ هذا الحديث الشريف الأخير الذي يُعزِزُ معاني برُ الوالدين: يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

(رواه الإمام أحمد في مسنده)

والحمد لله رب العالمين

الفهرس